من افتراءات المستشرقين :

قولهم: إن الإسراء والمعراج: أضغاث أحلام!

نتابع بعون من الله تعالى في هذا المقال تفنيد الافتراءات الاستشراقية تجاه معجزة الإسراء، والمعراج وقد فندنا عددا منها في المقال السابق وفي هذا المقال الذي بين أيدينا الآن نقذف فريتهم المتضمنة : الزعم بأن الإسراء والمعراج كانا مناما لا يقظة.



د عبد المنعم فؤاد (*)

وهذا ما نطق به المستشرق شريك في (دائرة المعارف الإسلامية)(1) ، وتبعه المستشرق نيكولسون(2) إمعانا في إنكار الوقوع ، أي أنها (أضغاث أحلام) أو على حد تعبير شريك هي : قصة قد نُسجت على منوال قصة ظهور عيسى على جبل تابور، وأنه قد ورد فيها : أن النبي قد خاطب ربه سبعين ألف مرة مع أنها قد تمت على جناح السرعة .. إلخ .

وللرد أقول :

إن هذا الافتراء لا يمكن أن ينال من ثبوت ما قصه علينا القرآن العظيم في هذا الشأن؛ وجاءت أحاديث صحيحة تُفصّل الأمر تفصيلا، وتبرهن، أن هذه المعجزة كانت لرسول الله ﷺ بالجسد والروح يقظة لا مناما، وقد حشدنا براهين نقلية على ذلك، والآن نناقش ونرد ببراهين أخرى لا يرفضها العقل ولا الواقع، تُكذّب ما ذهب إليه المفترون لنؤكد لمن أضله هؤلاء أن وقوع هذه المعجزة كان صدقا : يقظة لا مناماً

لماذا؟

لأن العقل السليم الذي كرم الله تعالى به الإنسان يقبل ذلك ولا ينكره ؛ فلو كان مناماً، أو هو بمثابة أضغاث أحلام كما يصوّر الشيطان لعقول هؤلاء لما كان له كبير اعتبار عند من سمعوا به وقت أن تحدث به الرسول الأكرم ﷺ وهو أمام أكابر رجال الكفر وقممهم في مكة ؛ ولما بادرت قريش إلى التكذيب، فإن كل إنسان له من الرؤيا ما يحمله على التصديق بمثل ذلك .

ثم إن التعبير القرآني في قوله تعالى:

(*) عميد كلية الوافدين جامعة الأزهر.

(1) ج ٢- ص ١٠٦

(2) - انظر المستشرق نيكولسون ومفترياته على الإسلام نقلا عن الجيلي محمدمن ص ٢٨٣-٢٨٩

﴿بِعَبۡدِهِۦ﴾ في آية الإسراء له دلالته في أن الإسراء كان بالروح والجسد، وفي اليقظة لا في المنام؛ فلفظة العبد: تُطلق على مجموع الجسد، والروح؛ ودليل ذلك قوله تعالى:

﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾

(العلق: ٩، ١٠)

وقوله جل شأنه:

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾

(الجن: ١٩).

ولا شك أن المراد بالعبد في الموضعين مجموع الروح والجسد.

الصعود للسماء:

ثم صعد الجسد مع الروح للسماء ليرى النبي ﷺ بقية الآيات، وليتلقى أمر التكليف بأفضل شريعة في الإسلام وهي: الصلاة؛ وتمت المخاطبة بين الله عز وجل، ونبيه ثم عاد في نفس الليلة إلى فراشه.

ولئن تعجب (شريك) من قصر الزمن في هذه الرحلة، وادعى أن النبي ﷺ (خاطب ربه سبعين ألف مرة) فإن هذا الرقم لم نسمعه إلا من شريك، ولم تقل به كتب السنن، بل هو من اختراعاته وافتراءاته الكثيرة.

أما الزمن فيجب ألا يُقاس بمقاييسنا؛ ونحن نعلم أن الله -عز وجل- هو الذي دعا نبيه إلى الرحلة[٣]؛ والله سبحانه، وهو الفاعل لا يحده زمان، ولا مكان؛ لأنه خالق الزمان، والمكان. والمحمول في الرحلة وهو النبي الكريم لم ينسب القيام بالرحلة إلى نفسه بل إلى الله -عز وجل- فتلا على الناس:

﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ (الإسراء: ١)

وتلا عليهم:

﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾

(النجم: ١٨)

فهو إذن قد أُسري به، ولم يسر هو بنفسه، وهو قد أُري ولم ير بنفسه.

إذن فالأمر خارج عن إرادته وقوته؛ وطالما المسألة كذلك ففاعلها لا يصح أن نقيس فعله بأفعالنا، ولا الزمان الذي استغرقت فيه الرحلة بزماننا.

فلو حُكي أمام شخص - مثلاً- أن هناك طفلاً رضيعاً لا يتجاوز ثلاثة أشهر قد صعد بنفسه إلى العمارة المكونة من ثلاثة طوابق فإن هذه الحكاية ستصيب الشخص السامع بالدهشة والاستغراب؛ وإن أنكر فهو محق؛ لأن هذا الصعود فوق قدرة الرضيع.

لكن إن قيل له: إن والده قد أخذه، وصعد به إلى الطابق الأعلى فإنه حينئذ سيتراجع عن إنكاره واستغرابه؛ لأن السامع يعلم مدى قدرة الأب على ذلك.

كذلك -ولله المثل الأعلى- لو قيل لنا: إن الله -تعالى- هو الذي أسرى بمحمد ﷺ وعرج به إلى السماء يقظة وبروحه وجسده، يجب ألا يُستغرب هذا ولا يُنكر، كما أنكر المستشرق شريك، ومن سار على نهجه؛ لأن قدرة الله تعالى فوق كل التوقعات.

النبي ينطق بالدليل المشاهد:

ولقد أثبت النبي الكريم - عليه الصلاة والسلام - بدليل مشاهد لا تكذبه العين صحة ذهابه إلى بيت المقدس لكي يصدق من يكذبونه بعد ذلك بعروجه إلى السماء جسدا وروحا، ويقظة لا

(٣) معجزة القرآن ص ٢٥٢ الشيخ الشعراوي.

مناما، ويقبل ما فرض عليه.

وهذا نقل حيّ عبر السنة المطهرة ينقله لنا سيدنا جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (لما كذبتني قريش قمتُ في الحجر فجلّى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه)[٤].

ونقل آخر كذلك عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها - أي لم أضبطها لانشغالي بأهم منها - فكربت كُربة ما كربت مثلها قط[٥]..

قال: فرفعه الله إليّ أنظر إليه. ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به ...)[٦].

تلك صور حية لم ننقلها للمستشرقين عبر فضائيات غربية أو شرقية بل عبر ألسنة طاهرة نقية، تصحبها قلوب مليئة بنسائم إيمانية، مطبوع فيها التصديق الذي لا يمكن أن يأتيه الباطل؛ لأنه مكتوب بيد القدرة، قال عز وجل:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾

(المجادلة: ٢٢)

وما كتبه الله عز وجل لا يمكن أن يُمحى بيد بشر أو بفرية مستشرق عنيد.

وغني عن البيان:

أن كفار قريش كانوا يعلمون جيداً أن النبي -عليه الصلاة والسلام- لم ير بيت المقدس في حياته، ولم يقرأ عنه؛ لأنه أمّي بعلم الجميع، ومع ذلك يصف لهم بيت المقدس قطعة قطعة، وسارية سارية؛ فكان ذلك دليلاً على صدقه، وعدم كذبه- عليه الصلاة وأتم السلام.

وقائع وحقائق أخرى تُلجم ألسنة المفترين:

وقد حكى القرآن الكريم عن وقائع وحقائق وعجائب تُشبه الإسراء والمعراج، وإن لم تقاربه: فالرياح سُخرت لسيدنا سليمان عليه السلام، تحمله إلى آفاق بعيدة عبر عنها القرآن بقوله:

﴿غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞ﴾

(سبأ: ١٢)

وأخبر أن الذي عنده علم من الكتاب أحضر عرش (بلقيس) من أقصى اليمن إلى أقصى الشام في مقدار لمح البصر؛ وسواء قلنا: إنه سليمان أو عبد صالح أو ملك مقرب.

قال تعالى:

﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي﴾

(النمل: ٤٠).

ولقد حضر العرش، واستقر عند سيدنا سليمان، ولا زمن، وقصت الكتب السماوية قبل الإسلام بمثل هذا، وغيره كثير، ولم يجرؤ هؤلاء المستشرقون على تكذيب هذه الكتب لأن الكثير منهم يدين بما فيها، فلماذا التكذيب برحلة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، وإخضاعها للزمن مع العلم بأن الذي أمر بها - كما أشرت آنفا - هو خالق الإنسان، والمكان والزمان -جل في علاه- ؟

---

(٤) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب حديث الاسراء؛ ج ٧/١٩٦ رقم ٣٨٨٦؛ ومسلم في صحيحه؛ ج ١ ص ١٥٦ رقم ١٧٠ كتاب الإيمان.

(٥) الكربة الهم الذي يأخذ بالنفس.

(٦) صحيح مسلم؛ ج ١ ص ١٥٦؛ ١٥٧.

أما البراق فليس أسطورة :

كما نقلنا ذلك في مقالنا السابق عن (كارادفو) وهو واحد من محرري دائرة المعارف الإسلامية[٧]، بل هو الوسيلة التي حملت النبي -عليه الصلاة والسلام- ليلة الإسراء إلى بيت المقدس، ومنه إلى السماوات العلا ؛ وليس هو خرافة أو أسطورة كما زعم هذا المستشرق ومن معه ، بل هو حقيقة ثابتة ؛ وقد وصف بأنه : دابة بيضاء براقة لها لمعان[٨]، دون البغل، وفوق الحمار، يضع خطوه عند أقصى طرفه ؛ وقد نطقت بهذا الوصف أحاديث لا شك في صحتها عند أهل العلم بالحديث،

بل هي في جملتها متواترة وقطعية الثبوت[٩] .

وعلى ذلك فقد كذب (كارادافو) حينما زعم أن هذا الوصف من أوصاف المفسرين ؛ وبعد ذلك أخذ يخرج بألفاظ غير لائقة فيما يعتقده المسلمون تجاه هذه المعجزة .

وقد رد الأستاذ أحمد شاكر في تعليقه على أقوال هذا الكاتب في دائرة المعارف قائلاً :

(وقد كان لكاتب المقالة مندوحة أن يتحاشى الألفاظ الجافة في تعبيره ؛ إذ يزعم أنه - أي البراق - (في الأساطير) للدلالة على أنه حيوان خرافي) !

وليس في الأساطير ما يثبت عند علماء المسلمين بالتواتر الذي لاشك في صحته واليقين به.

وهذا البراق ... من أمور الغيب التي أخبر بها النبي- عليه الصلاة والسلام -بما وراء هذه المادة التي في متناول الحس البشري.

ثم يورد أمثلة بشرية ممكنة في علم الفلك لم تكن في علم الإنسان من قبل[١٠]

وفي النهاية أقول :

إن هذه المعجزة بما تضمنته من أخبار صادقة هي بمثابة نموذج لجحود المستشرقين لرسالة الرسول -عليه الصلاة والسلام- ونبوته، فهم يستكثرون على الرسول -عليه الصلاة والسلام- أن تقع منه أمثال هذه المعجزة والخوارق، ويزعمون أنها وغيرها : أباطيل ؛ وكل ما يتعلق بها من الأساطير !

بينما هم في المقابل يُصدّقون بخوارق الأنبياء الآخرين، ومعجزاتهم كموسى وعيسى عليهما السلام .

وغني عن البيان أن النبي ﷺ له كثير من المعجزات الحسية بجوار معجزة الإسراء مثل : نبع الماء من بين أصابعه، وحنين الجذع وكلام الضب، وتكثير القليل من الطعام... إلخ .

ومع ذلك فإن اعتماده الأكبر كان على أكبر المعجزات وأبقاها إلى يوم الدين وهو القرآن الكريم ... بينما لم يوجد عند الأنبياء السابقين مثل هذه المعجزة الباقية، بل كل ما كان كان وانتهى .

ولولا أن الرسول عليه الصلاة والسلام أخبرنا بما كان عندهم ما صدقنا أهل الكتاب عن شيء لثبوت تحريفهم وكثرة أكاذيبهم .

---

(٧) - انظر دائرة المعارف.. ج٣ ص ٤٨٥

(٨) انظر تفسير ابن كثير ؛ ج ٣ ص ٢٦ .

(٩) راجع صحيح مسلم ؛ ج ١ ص ١٤٥ كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله رقم ١٦٢ ؛ ١٦٤ ص ١٥٠ وصحيح البخاري باب المعراج؛ ج ٧ ص ٢٠١ ؛ ٢٠٢ .

(١٠) انظر دائرة المعارف ؛ ج ٣ ص ٤٥٨ مادة براق، والرسول في كتابات المستشرقين ص ١١٧ نذير حمدان.